# الفصل الثالث

# مصطلح الوحدة

# المبحث الأوّل
# وحدة الدّين

ترتبط وحدة الدّين بوحدة دعوة التوحيد ، الذي هو في أساسه التوجّه إلى الله وحده لا شريك له ، والاستجابة لأوامره التي نادى بها جميع الرّسل بلا استثناء ، وأنّ الاختلاف في الشرائع هو من خصوصية الأمّة أو الشعب أو الفترة الزمنية ، فلا يؤثّر من قريب أو من بعيد في وحدة العقيدة والمصدر والهدف والموضوع وكذا وحدة التسمية ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) . وقد أخذ الله ميثاق النبيين بأن يؤمنوا بكلّ رسول جاءهم مصدّقا لما معهم ، وينصرونه ، وقد فعلوا ، وهو ما جاء في قوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ (٢) . فالدّين عند الله واحد وهو ما كان عليه إبراهيم وسائر الأنبياء ، وأنّه لمّا كان القصد من إرسالهم واحد وجب أن يكونوا متكافلين متناصرين ، إذا جاء واحد منهم في زمنٍ آخر آمن به ونصره بما استطاع ، ولا يلزم من ذلك أن يكون متّبعا لشريعته ، كما آمن لوط لإبراهيم وأيّد دعوته إذ كان في ذمّته. وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ (٣) أخذ الله ميثاق النبيين أجمعين أن يؤمنوا بمحمّد ﷺ وينصرونه إن أدركوه ، وأمرهم أن يأخذوا الميثاق على

---

(١) سورة الحج : ٧٨.

(٢) سورة آل عمران : ٣.

(٣) سورة آل عمران : ٨١.

أممهم[١]. وقد وجّه الله سبحانه وتعالى بأمره : ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾[٢] ، أي آمنّا بما أنزل على هؤلاء بالإجمال ، أي صدّقنا بأنّ الله تعالى أنزل عليهم وحيا لهداية أقوامهم ، وأنّه موافق لما أنزل علينا في أصله وجوهره[٣].

وقد أنكر الله سبحانه وتعالى على من أراد دينا سوى دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، الذي له أسلم من في السماوات والأرض أي استسلم له من فيهما طوعا وكرها ، فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله ، والكافر مستسلم لله كرها فإنّه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذي لا يخالف ولا يمانع. فالكون كلّه قد خضع واستسلم لتوحيد الله ، بما أودع فيه من النواميس والقوانين التي تحكمه وتسيّره حسب علم الله وإرادته وتصريفه. والإنسان في هذا الكون لا بدّ أن يكون له قانون يوحّد به ربّه وينصاع لهذا القانون ، وكان هذا القانون هو الإسلام الذي حمله موكب الأنبياء جميعا ، والقرآن الكريم يصوّر هذه الحقيقة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٤] ، وعن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول ﷺ قال : « **مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، إلاّ موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل النّاس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلاّ وُضِعت هذه اللّبنة؟** » ، قال: « **فأنا اللّبنة ، وأنا خاتم النبيين** »[٥] ، وعنه أنّه ﷺ قال: « **أنا**

---

(١) الطبري : الجامع لأحكام القرآن ، دار المعرفة ، بيروت ، طبعة ١٩٨٣، ٢ / ٤ / ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران : ٨٤.

(٣) محمّد رشيد رضا: تفسير المنار ، دار المعرفة ، بيروت ، طبعة ٢ ، ص ٢٥٧.

(٤) سورة الأنبياء : ٩٢.

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، كتاب المناقب ، حديث (٣٥٣٥) ، ص ٥٥٨.

**أولى النّاس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة** » ، قالوا: كيف يارسول الله؟ ، قال: « **الأنبياء إخوة من علاّت** »[١] ، **وأمّهاتهم شتّى ، ودينهم واحد ، فليس بيننا نبي** »[٢]. قال العلماء معنى الحديث: أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة ، فإنّهم متّفقون في أصول التوحيد ، وأمّا فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف ، وعنه قال ﷺ « **إذا سلّمتم علي ، فسلّموا على المرسلين ، وإنّما أنا رسول من المرسلين** »[٣] ، فالمراد بدينهم واحد: أصول التوحيد وأصل طاعة الله تعالى وإن اختلفت صفتها ، وأصول التوحيد والطاعة جميعا[٤].

وبذلك تنتفي عوامل الزمان والمكان والانتماء العِرقي واللّغوي أمام وحدة الحقيقة التي بشّر بها الرّسول ﷺ : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[٥] ، أي دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد وملّة واحدة وهو الدّعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٦] ، وقال: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[٧] ، وقال أيضا: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[٨]. وقد ورد في كتب العهدين القديم

---

(١) أولاد علاّت هم الإخوة لأب من أمّهات شتّى، وأمّا الإخوة من الأبوين فيقال لهم : أولاد الأعيان.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري: كتاب أحاديث الأنبياء ، حديث (٣٤٤٢) ، ص ٤٧٧.

(٣) صحيح مسلم: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، طبعة ١٩٨٣، ٤ / ١٨٣٧.

(٤) جلال الدّين السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار المعرفة ، بيروت ٥ / ٢٥٤.

(٥) سورة المؤمنون : ٥٢.

(٦) سورة آل عمران : ١٩.

(٧) سورة المائدة : ٣.

(٨) سورة آل عمران : ٨٥.

والجديد إشارات إلى مثل الذي قدّمنا ، منها [١]:

ـ ثمّ كلّم الله موسى وقال له : أنا الرب ، وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأنّي الإله القادر على كلّ شيء[٢].

ـ أفما قرأتم في كتاب موسى في أمر العليقة كيف كلّمه الله قائلا : أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب[٣].

ـ فقال له يسوع : لماذا تدعوني صالحا ، فليس أحد صالحا إلاّ واحد وهو الله[٤].

أمّا عن القرآن الكريم فقد عرض لوحدة الدّين من جوانب عدّة يمكن ضبطها في وحدات ثلاث: وحدة المصدر ، وحدة الموضوع ، وحدة التّسمية[٥].

**أ ـ وحدة المصدر**: يقول تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾[٦] ، فهو إذا موكب واحد يتراءى على طريق التّاريخ البشري الموصول ، ورسالة واحدة بهدي واحد للإنذار والتبشير ، موكب واحد يضمّ هذه الصفوة المختارة من بين

---

(١) في تقديمنا لبعض الأدلّة الكتابيّة إشارة إلى ما عند أهل الكتاب من تأكيد على وحدة أصول العقيدة. أمّا في ما يتعلّق بالتقويم فقد أفردنا له بحثا مطوّلا ضمن دراسة منهجية مقارنة بعنوان: ابن تيمية ورحمت الله الهندي ومنهجهما في دراسة العقائد النّصرانية من خلال كتابيهما « الجواب الصحيح » و « إظهار الحق » ـ دراسة منهجية مقارنة. نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية.

(٢) سفر الخروج ٦ / ٢ ـ ٣.

(٣) مرقس ١٢ / ٢٦.

(٤) إنجيل لوقا: ١٨ / ١٩.

(٥) عبد الرؤوف شلبي: وحدة الدّين ، منشورات الأزهر ، القاهرة ، ص ٧٤.

(٦) سورة النساء : آية ١٦٣.

البشر... وغيرهم ممّن قصّهم الله على نبيّه ﷺ في القرآن ، وممّن لم يقصصهم عليه...كلّهم آت من ذلك المصدر الكريم ، وكلّهم يحمل ذلك النّور الهادي ، وكلّهم يؤدّي الإنذار والتبشير ، وكلّهم يحاول أن يأخذ بزمام القافلة البشرية إلى ذلك النّور...كلّهم تلقى الوحي من الله ، فما جاء بشيء من عنده[١] ، وقال صاحب الظّلال في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾[٢]: هذا تقرير لينابيع الهدى في هذه الأرض ، فهدي الله للبشر يتمثّل فيما جاءت به الرّسل ، وينحصر المستيقن منه ، والذي يجب اتباعه ، في هذا المصدر الواحد ، الذي يقرّره الله سبحانه وتعالى أنّه هو هدى الله[٣]. فمصدر هذا الدّين واحد وهو الوحي ، أي أنّه من عنده تعالى ، بعث رسله رحمة للعالمين بدعوة التوحيد ، وأنّ غير ذلك باطل ؛ لأنّه من وضع البشر: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[٤] ، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴾[٥] ، ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[٦] ، فقد اشتملت هذه الآية الأخيرة على عشر كلمات مستقلات كلّ

(١) سيّد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، طبعة ٩ / ١٩٨٠م ، ٢ / ٦ / ٨٠٥ .

(٢) سورة الأنعام : ٨٨ .

(٣) نفس المصدر السابق : ٢ / ٧ / ١١٤٤ .

(٤) سورة الشورى : ٣ .

(٥) سورة الشورى : ٥١ .

(٦) سورة الشورى : ١٥ .

منها منفصلة عن التي قبلها ، حكم برأسها ، قالوا : ولا نظير لها سوى آية الكرسي ، فإنّها أيضا عشر فصول كهذه. وقوله : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ ﴾ أي فللّذي أوحينا إليك من الدّين الذي وصّينا به جميع المرسلين قبلك ، أصحاب الشرائع الكبار المتّبعة كأولي العزم وغيرهم فأدع النّاس إليه[1].

ب : **وحدة الموضوع**: إنّ وحدة المصدر تستلزم وحدة الموضوع الذي هو التوحيد وإخلاص العبودية لله وحده ، وكثير من الآيات تنطق بنفس الموضوع ، وهي خطاب الأنبياء إلى أقوامهم:

ـ ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٠٦ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ۝١٠٧ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[2].

ـ ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٢٤ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ۝١٢٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[3].

ـ ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٤٢ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ۝١٤٣ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[4].

ـ ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٦١ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ۝١٦٢ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[5].

---

(١) تفسير ابن كثير ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، طبعة ١٩٨٦ ، ٤ / ١١٠.

(٢) سورة الشعراء : ١٠٦ ـ ١٠٨.

(٣) سورة الشعراء : ١٢٤ ـ ١٢٦.

(٤) سورة الشعراء : ١٤٢ ـ ١٤٤.

(٥) سورة الشعراء : ١٦١ ـ ١٦٣.

- ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (١).

- ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ (٢).

- ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (٣).

فقد اتّفقت جميع هذه الآيات في وحدة موضوعيّة، تشير إلى حقيقة دعوة الرّسل أقوامهم إلى التقوى وإلى توحيد الله تعالى. فكلّ منهم رسول أمين بعثه الله ليبلّغ رسالاته، ولا يزيد فيها ولا ينقص منها، وإنّه لا يطلب جزاء على نصحه لهم بل ادّخر ثواب ذلك عند الله.

والتّوحيد المطلق لله سبحانه وتعالى يقتضي توحيد دينه الذي أرسل به الرّسل للبشر، وتوحيد رسله الذين حملوا هذه الأمانة للنّاس، وكلّ كفر بوحدة الرّسل أو وحدة الرّسالة هو كفر بوحدانيّة الله في الحقيقة، وسوء تصوّر لمقتضياتها، فدين الله للبشر ومنهجه للنّاس، هو هو لا يتغيّر في أساسه كما أنّه لا يتغيّر في مصدره، فالإيمان وِحدة لا تتجزّأ، والإيمان بالله إيمان بوحدانيّته سبحانه،

(١) سورة الشعراء: ١٧٧ ـ ١٧٩.

(٢) سورة الشعراء: ٧٥ ـ ٨١.

(٣) سورة الزخرف: ٦٣، ٦٤.

ووحدانيّته تقتضي وحدة الدّين الذي ارتضاه للنّاس لتقوم حياتهم كلّها كوحدة على أساسه ، ويقتضي وحدة الرّسل الذين جاؤوا بهذا الدّين من عنده لا من عند أنفسهم ولا في معزل عن إرادته ووحيه ، ووحدة الموقف تجاههم جميعا ، ولا سبيل إلى تفكيك هذه الوحدة إلاّ بالكفر المُطلق ، وإن حسب أهله أنّهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض[١] . والله سبحانه وتعالى ما خلق النّاس سدى وإنّما لغاية سامية أرسل من أجلها الرّسل محمّلين بأمانة القيام لله وحده ؛ لذلك نلاحظ أطراف الآيات السّابقة: ﴿ إِذْ قَالَ ﴾ وهو دلالة على أمانة التّبليغ ، تبليغ مضمون الرّسالة: ﴿ أن اتّقوا الله ﴾ .

جـ ـ وحدة التّسمية : لقد جاء في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٢] ، بيان أنّ الإسلام كان هو الرّسالة الأولى ، وكان هو الرّسالة الأخيرة ، هكذا اعتقد إبراهيم ، وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، حتّى أسلموا هذه العقيدة ذاتها إلى موسى وعيسى ، ثمّ آلت أخيرا إلى ورثة إبراهيم من المسلمين. وأنّ القرآن الكريم يدعو المسلمين لإعلان وحدة الدّين ، من لدن إبراهيم إلى عيسى ـ عليه السّلام ـ إلى الإسلام الأخير ، ودعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بهذا الدّين الواحد: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[٣] ، تلك الوحدة الكبرى بين الرّسالات

(١) سيّد قطب : في ظلال القرآن ٢ / ٦ / ٧٩٧.

(٢) سورة البقرة : ١٣٢.

(٣) سورة البقرة : ١٣٦.

جميعا ، وبين الرّسل جميعا ، هي قاعدة التصوّر الإسلامي وهي التي تجعل من الأمّة المسلمة الأمّة الوارثة لتراث العقيدة القائمة على دين الله في الأرض[١]. وإلى نفس هذه الدّعوة ينتمي سيّدنا سليمان وبلقيس ، ويتوجّه باسمها سيّدنا موسى لقومه ناصحا : ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[٢]. وأعلن ذلك فرعون عند غَرَقِه ، ومن قبله السَّحَرة ، وكذلك سيّدنا عيسى يدعو حواريِّه إلى الإسلام : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[٣]. من أجل ذلك يقرّر القرآن بأنّ دين الله واحد منذ الأزل ، وأنّ الإسلام في صورته الأخيرة التي جاء بها النّبي ﷺ ، صورة شاملة لكلّ الرّسالات السّابقة وعقيدة شاملة لكلّ الكتب السماويّة السّابقة ، ودين شامل لكلّ أنبياء الله السّابقين ورسله. ومن حقائق القرآن التي تدلّ على شمول عقائده ، أنّه يعتبر رسالة الأنبياء جميعا واحدة وهي: ﴿ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ ، والاختلاف بين رسالة ورسالة إنّما هو اختلاف اقتضته الطّبيعة البشريّة طِبقا لتطوّر الإنسان من مرحلة إلى مرحلة[٤].

إنّ ما نريد بيانه من عرضنا لوحدة التسمية ، ليس مجرّد تبرير للرّبط بين الأصول الدينيّة وإيجاد مصوّغ لنلزم النّاس بأنّ الرّسالة انتهت عندنا ، وإن كان هذا هوّ الواقع ـ وحدة الدّين وختم سيّدنا محمّد ﷺ للرّسالة ـ إلاّ أنّ الهدف الأسمى من وراء ذلك هو إظهار ما يعنيه هذا التواصل الربّاني لدين الله الذي

(١) في ظلال القرآن : ١ / ١ / ١١١.

(٢) سورة يونس : ٨٤ .

(٣) سورة المائدة : ١١١.

(٤)عبد الودود شلبي : التزوير المقدّس، دار الشروق ، بيروت ، طبعة ١ / ١٩٨٥ ص ٥٤ .

سمّاه الإسلام ، إذ السنّة التاريخية في تعاقب الأنبياء والمرسلين إنّما هي مظهر من مظاهر عناية الله بخلقه ، وأنّه كلّما طال عليهم الأمد إلاّ وأرسل فيهم رسولا يجدّد لهم دينهم ويصلح ما أفسدوه ، ينبّههم إلى ما أحدثوا وأن يتوبوا إلى الله ، فكانت العقيدة واحدة واختلفت الشرائع لخصوصيّة الموقف ، وأنّ البشريّة تستعدّ لاستقبال خاتم الرّسالة ، الذي يبشّر النّاس بدين واحد عالمي يخضع له أصحاب كلّ الديانات والملل السّابقة بلا استثناء ، وهو سير طبيعي في خطّ الإسلام العام. فمن كان مؤمنا بحقّ بما جاء به سيّدنا موسى ـ عليه السّلام ـ وجد نفسه فطريا مؤمنا بما جاء به سيّدنا عيسى ـ عليه السّلام ـ ومن آمن بذلك كلّه صدّق بما جاء به سيّدنا محمّد ﷺ الذي قال: « **والذي نفس محمّد بيده ، لايسمع بي أحد من هذه الأمّة يهودي ولا نصراني ، ثمّ يموت ولم يؤمن بالذي أرسلنا به إلاّ كان من أهل النّار** »[1]. وأنّ الذين يفرّقون بين رسل الله ويوجدون الفواصل في دينه ، إنّما هم يريدون إطفاء نور الله وإحداث الانقسام في البناء الربّاني ، وأنّ التمسّك بغير دين الإسلام كفر ومحاربة لله ورسوله ، وقد صلّى الأنبياء ـ عليهم السّلام ـ كلّهم خلف النبي محمّد ﷺ ليلة أُسرِي به.

وجاء في دلائل النبوّة للبيهقي[2]: جاءت ملائكة إلى نبيّ الله ﷺ وهو نائم ، فقال بعضهم لبعض: إنّه نائم ، وقال بعض: إنّ العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا: إنّ مثله كمثل رجل بنى دارا ، فجعل فيها مأدبة ، وبعث داعيا ، فمن أجاب الدّاعي دخل الدّار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الدّاعي لم يدخل الدّار

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان ٤ / ١٣٤ ، حديث (٢٤) .

(٢) دلائل النبوّة : ١ / ٣٧١.

ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا: أوّلوا له يفقهها ، فقال بعضهم ، إنّه نائم ، وقال بعضهم: إنّ العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا: فالدّار الجنّة ، والدّاعي محمّد ، فمن أطاع محمّدا فقد أطاع الله ، ومن عصى محمّدا فقد عصى الله « ومحمّد فرق بين النّاس»[1]. وذهب وهب بن منبّه في قصّة داود النبي ﷺ وما أوحي إليه في الزبور: « يا داود ، إنّه سيأتي من بعدك نبيّ يسمّى أحمد ومحمّدا ، صادقا سيّدا ، لا أغضب عليه أبدا ، ولا يُغضبني أبدا ، وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، وأمّته مرحومة ، أعطيتهم من النوافل بمثل ما أعطيت الأنبياء ، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرّسل ، حتّى يأتوني يوم القيامة نورهم مثل نور الأنبياء ، وذلك أنّي افترضت عليهم أن يتطهّروا لي لكلّ صلاة ، كما افترضت على الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالحجّ كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرّسل قبلهم »[2].

*****

(١) صحيح البخاري : ١٣/ ٢٤٩ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ حديث رقم ٧٢٨١ .

(٢) نفس المصدر السّابق : ١ / ٣٨٠.